وجود الله

تأليف: رايموند كلسي

قد فكر المفكرون كثيراً في مسألة وجود الله، إن لم يكونوا قد شكوا في وجود الله، فهم على الأقل قد انهذلوا من امكانية اثبات وجود كائن أعظم. علينا أن نعطي جواباً مقنعاً عن سبب الرجاء الذي فينا (١ بطرس ٣: ١٥).

يقول الملحدون انهم توصلوا إلى خلاصة بانه لا يوجد الله. من المستحيل للإنسان أن يجزم بعدم وجود الله. عليه أن يكون كلي العلم {أي تكون له معرفة غير محدودة} حتى يستطيع ان يقول مثل هذه العبارة. هذا الدرس سيضع بعض الأسباب للإيمان بوجود كائن أعظم.

يعلم الكتاب المقدس عن وجود الله

يبدأ سفر التكون وهو أول أسفار الكتاب المقدس بعبارة عظيمة: «في البدء... الله» ويستمر باعلان عن وجوده من خلال صفحاته. هذه الحجة طبعاً لا يكون لها وزناً بالنسبة للشخص الذي لا يقبل الكتاب المقدس كشهادة مصدقة. ولكن إن كنا قد أثبتنا الحقيقة – كما في الدرس السابق – بان الكتاب المقدس شاهد مؤهل، فيكون لشهادته وزناً. في درسنا السابق، قدمنا أسباب للإيمان بالكتاب المقدس. قدمت دلائل تبين بان الكتاب المقدس هو كتاب فوق الطبيعية، وانه كشف حقائق يمكن معرفتها حينذاك بالوحي الإلهي فقط. بما اننا أثبتنا بان الكتاب المقدس هو كتاب فوق الطبيعية، وانه تم تأكيد صحته في كل حالة أمكن فيها التأكيد، ينبغي ان نستعد لقبول شهادته في الأمور التي لا يمكن تأكيد صحتها بالحواس الخمسة. ولأن الكتاب المقدس قد أثبت مقدرته كشاهد، فأومن انه يقول الحقيقة باعلانه عن كينونة الله.

توجد كمية كافية من الشهادة المؤيدة لما ورد ذكره. ما تبقى من هذا الدرس سيعالج براهين وجود الله التي توجد خارج الكتاب المقدس.

تشهد الطبيعة بوجود كائن أعظم

«لأن {أمور الله} غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات...» (رومية ١: ٢٠). قال كاتب مزمور: «السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه» (مزمور ١٩: ١)؛ و: «إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كَوَّنْتَهَا، فمن هو الإنسان حتى تذكره...» (مزمور ٨: ٣و ٤). يمكننا التأمل في الفضاء المدهش كما فعل داود في قديم الزمان. بصراحة، توجد للإنسان الآن معدات تمكنه أن يعرف عن الفضاء أكثر بكثير مما استطاع الإنسان في أيام داود معرفته. كل إكتشاف جديد يضيف وزناً إلى فكرة وجود الله.

لا بد أن يترك فينا شيئا واحدا إنطباعاً قوياً الا وهو ضخامة الفضاء واتساعه. الأرض التي نعيش عليها هي كتلة هائلة ولكن عند مقارنتها بالشمس هي بقعة صغيرة. إذا قُسمت الشمس إلى مليون جزء يكون كل جزء منها أكبر بكثير من حجم الأرض. هذه الأرض تستقبل فقط اثنين من البليون من ضوء الشمس وحرارتها.

يبلغ محيط الأرض حوالي خمسة وعشرون ألف ميل، والمسافة بين الأرض والشمس تبلغ أربع آلاف ضعف طول محيط الأرض، وهذا يزيد عن اثنين وتسعون مليون ميل. يقال ان كوكب السيّار نبتون يبتعد بحوالي بليونين ونصف البليون ميلاً، أو ثلاثين مرة ضعف المسافة بين الأرض والشمس. والشِّعْرَى اليمانية نجم

السماء الأكثر لمعاناً، يبتعد بحوالي واحد وخمسون تريليون ميلاً. ويقال ان الظُّلمان ثالث ألمع نجم السماء يبتعد بحوالي عشرين تريليون ميلاً أو مئتان وثلاثون ألفاً ضعف المسافة بين الشمس والأرض. تبتعد كثير من الأجرام السماوية بمسافات كبيرة جداً بحيث تقاس بـ «سنين ضوئية»، يقال ان بعضها تبتعد عن الأرض بآلاف السنين الضوئية. هذا يعني، انه يتطلب آلاف السنين للضوء الذي ينتقل بسرعة ... ، ١٨٦ ميلاً في الثانية كي يصل إلينا من تلك الأجرام السماوية. النظام الشمسي كما نعرفه (الذي يتكون من الشمس والكواكب والأقمار الطبيعية) ليس هو النظام الشمسي الوحيد يقول علماء الفضاء بانه يوجد ملايين أخرى {من الأنظمة الشمسية} لكل منها شمسه وكواكبه.

هذه الأرقام تعني القليل بالنسبة لنا. انها كبيرة جداً بحيث لا نستطيع إدراكها، ولكنها توحي بشيء عن ضخامة الكون واتساعه. عندما نتأمل في كل ما اكتشفه الإنسان، نتعجب حقاً: ولكننا لم نستكتشف إلا جزءاً صغيراً من عمل الله. قال شخص ما وهو يشدد على عظمة الفضاء: «عظمة الغابة الممتدة لا تعاني كثيراً بسقوط ورقة واحدة كما ان أمجاد الفضاء الحالي لا تعاني كثيراً إذا ما تحولت الكرة الأرضية التى نمشي عليها إلى غازات».

الفضاء الهائل يطلق صرخة مدوية بوجود الله. رسل السماء ينادون دائماً بوجود الله والقوة والحكمة والصلاح. ليست شهادتهم هي مجرد تلميح، وإنما إعلان. إن كان عليك أن ترى سمو الله، تمعن في السماء المزدانة بالنجوم. إن كان عليك أن ترى اللانهائية والحكمة والإخلاص الإلهي، فكر في توازن النجوم وحركة دورانها، كل هذه لا تظهر مجداً فحسب بل تظهر مجد الله! فهي تسلمنا برهاناً لا جدل فيه عن خالق عاقل ومتحكم ومُشْرِف. شهادتها هي إعلان في جميع اللغات ودلائل لا يمكن اسكاتها.

شيءموجود، لا يمكن أن يأتي هذا شيء من الا شيء. إذن، هناك شيء دائم أو كائن دائم. يسمي الكتاب المقدس ذلك الكائن، الله.

خليقة عاقلة هي الإجابة المنطقية الوحيدة للسؤال عن الأصل

يتسائل الإنسان: «ما هو أصل هذا الفضاء الرائع؟» يوجد فقط إجابتين محتملتين: اما خليقة أتت بالصدفة أو بتوجيه عقلي. هل يمكننا الإيمان بانها أتت إلى الوجود بالصدفة؟ من ذا يؤمن بسذاجة بان الكون الهائل والبديع الذي نتحدث عنه هو نتيجة صدفة عمياء؟ لا يمكن أن يأتي شيء من لا شيء. لا بد أن يكون للحدث مسبب. لا يمكنني الإيمان بان الصدفة أنتجت العالم المادي. لننظر إلى بعض الأسباب التي تؤدي إلى الإيمان بان الخليقة أتت بتوجيه عقلي.

أولاً، تركيب مواد مختلفة بكميات مناسبة لإنتاج عدد لا يحصى من أشكال المادة والحياة هي حُجّة قوية بوجود القائم بذلك والمُنَظّم. الآن يوجد هناك ١١٢ عنصراً معروفاً في اَلكون. يتكون كل ما نراه من هذه العناصر المختلفة. مواد معينة بكميات معينة تنتج أشياء معينة عند تفاعلها معاً. عند اتحاد جزيئين من هايدروجين وجزيء من الأكسجين ينتج ماء. وعند اتحاد جزيء من الصوديوم وجزيء من الكلور ينتج ملح الطعام، لتوضيح هذا، فكر في الأحرف الثمانية والعشرون في الأبجدية. يمكن ترتيب هذه الأحرف في مجموعات بحيث تكون منها آلاف من مختلف الكلمات. ويمكن ترتيب الكلمات لكتابة الشعر، أو لكتابة النثر، أو لاعلان حرب، أو معاهدة سلام أو مقالة صحفية أو أي نوع آخر من الأدب. ولكن لا يمكن لهذا أن يتم بدون عقل ما يقوم بترتيب هذه الأحرف والكلمات. هل يمكننا ان نتصور بان الصدفة تقوم بترتب الأحرف الأبجدية بحيث تقع في الأماكن المناسبة لإنشاء مسرحية شكسبير؟ طبعاً لا يمكننا تصور ذلك، فان هذا يكون غير مقبول مثله مثل الاعتقاد بان اتحاد المواد المختلفة التي تكوّن الكون هي نتيجة صدفة عمياء! هذا لا يمكنَ ان يكون!

ثانياً، نرى في الكون من حولنا دليلاً لخطة كائن ذكي وتصميمه. يبدو ان هناك تصميم حتى لأصغر مواد الطبيعة وكل نُدْفَة ثلج كامل

التصميم، وكل ورقة عشب تمثل انضباط معملي محكم. والأجسام البشرية التي نعيش فيها توضح تصميم فوق البشرية. لا يمكن للمراقب الحريص ان يتأمل كائن حي كثيراً دون ان يهتف مع كاتب المزمور قائلاً: « أحمدك لأنك صنعتني بإعجازك المدهش. ما أعجب أعمالك ونفسي تعلم ذلك يقيناً » (مزمور ١٣٩: ١٤). المئتان عظمة والخمسمائة عضلة، الأوتار التي تربطها معاً تقدم مثالاً كاملاً على التخطيط والتصميم المتناسق. آلاف الأعصاب وآلاف الأوردة والشرايين وآلاف الغدد التي تؤدي كل منها وظيفتها وتعمل معاً لمنفعة الجسد، تقدم صورة تدل على تصميم عقلي ذكي. لا يمكن ان يكون هذا نتيجة صدفة. التركيب المعقد لعين الإنسان قد يعطي ما يكفى لكتابة عدة مجلدات علمية. تكشف العين عن تصميم يمكن تنسيبه فقط إلى وجود خالق عاقل. يمكن للناس أن يقوموا بدراسة هذا العضو وحده مدى الحياة، ومن ثم يعترفوا بان هناك الكثير الذي لا يعرفونه بعد.

يمكن أن يقال هذا أيضاً عن أعضاء أخرى من جسد الإنسان. طبعاً التصميم في الجسم لا يقتصر فقط على الجسم البشري، توجد اعداد كبيرة من المخلوقات حولنا تقدم حجة لا تدحض وبرهان قاطع على وجود الله. الطيور التي تطير في السماء مزودة بالأجهزة اللازمة لمجال حياتها. والأسماك التي تسبح في البحار لها أشكال الأجسام المطلوبة للبيئة التي تعيش فيها. كل شكل من أشكال الحياة وحتى المواد التي لا حياة فيها تصرخ وتشهد بوجود مصمم، مصصم ذكي.

ثالثاً، وجود قانون ونظام في الكون يثبت ان الخليقة أتت إلى الوجود نتيجة لوجود خالق ذكي. تدور الكواكب بمدارات منتظمة ودقيقة بطريقة حسابية. وتدور الأرض حول محورها كل أربع وعشرون ساعة. وفي الوقت نفسه تسري حول الشمس بمعدل ٦٠٠ ، ٧٢ ميل في الساعة، وتعمل دائماً حسب التوقيت! تتحرك بحسب قانون منتظم في كل دورة وفي كل مجال. هذه القوانين لا تتفاوت إذ يمكن التنبوء بالكسوف أو الخسوف بدقة. قوانين الفضاء محكمة ومضبطة! قد تعلم الإنسان بخبرة مريرة انه لا يمكن ان ينتهك قوانين الطبيعة دون ان يعاني من العواقب، تأتي الإصابة دون رحمة عند إنتهاك احد هذه القوانين. مثل هذا القانون والنظام لم يأتي بمجرد صدفة. لا بد انه يوجد هناك مسناً للقوانين! وأيضاً لا بد أن يكون هناك قوة قادرة على فرض هذه القوانين، ولا بد ان تكون تلك القوة عاقل وحكيمة. تشهد قوانين الفضاء بوجود قوة أعظم وهي التي تسن هذه القوانين وتصونها.

رابعاً، وجود الحياة يخبر عن وجود إله حي. ما هو أصل الحياة؟ بما ان الحياة تأتي من حياة، لا بد ان تكون هناك حياة متأصلة في، تلك الحياة المتأصل في ذاته هو ما أسميه الله. هو التفسير الوحيد الذي يمكن التفكير به عن الحياة وأصلها. عند البحث وفهم سر الحياة، لا بد أن نأتي إليه أخيراً، لا يمكن ان نمضي إلى ما وراءه. لا تأتي الحياة بالصدفة، انها لا تحدث عفوياً. لا بد انه يوجد أولاً مسبب.

الخلاصة

عندما نفحص أعمال الله، نتسأل مع داود: « ... فمن هو الإنسان حتى تذكره...؟ » (مزمور ٨: ٤). الإنسان هو مجرد نقطة صغيرة عايش على نقطة صغيرة، ومع ذلك أظهر الله اهتمامه به أكثر مما أظهره للنجوم التي تلمع؛ لماذا؟ لأن الإنسان كان قد خلق على صورته ولأن الإنسان يعيش إلى الأبدي. عندما تشتعل الفضاء بالنار، سينجو الإنسان من دمار العوالم.

أنا سعيد انني أومن بالله، أني أشفق على الذي لا يؤمن بالله والذي لا يعرف الله. الذين وجدوه والذين يعرفونه يشهدون بانه أكبر مصدر للقدرة عرفوه أو اختبروه في التغلب على معارك الحياة. السموات والأرض التي هي من أعمال يديه ستزول، ولكنه يبقى ويدوم. « لكنك أنت الدائم الخالد وسنوك لن تنتهي » (مزمور ١٠٢: ٢٧ ؛ مزمور ٩٠: ٢). في أوقات التغيير والتحول، في عالم الاضمحلال والخراب، أُناشدك لتمسك على يده غير المتغير. ❖

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧